

رسمية اللغة العربية في تشاد:

الأسس والمرتكزات

للدكتور محمد مدني فضل⁽¹⁾

المستخلص

تعالج هذه الورقة موضوع اللغة العربية ومكانتها كلغة رسمية للدولة، وعلاقتها بالتكوين السكاني والاجتماعي، والسياسي في دولة تشاد. ركزت الورقة بشكل رئيس على عوامل انتشارها، وتطورها عبر العصور، منذ قبل بروز الممالك الإسلامية ووضعيتها في كل من الدولة والمجتمع، بالإضافة إلى التحديات التي واجهت انتشارها منذ حقبة الاستعمار الفرنسي. أوضحت الورقة أن موقع تشاد ومجاورتها لبعض الدول العربية (مثل ليبيا والسودان)، استيطان القبائل العربية فيها منذ أمد بعيد، والعامل الديني، مثلت جميعها عوامل أساسية ساعدت على انتشار اللغة في المنطقة. هذا بالإضافة إلى اعتماد العربية كلغة رسمية في الدولة، ولغة تدريس في المدارس الحكومية ووسائل الإعلام الحكومية (تلفزيون وراديو). أخيراً، أوضحت الورقة الدور الفرنسي ومحاولته للحد من انتشار اللغة العربية وعرقلة طرق انتشارها في تشاد.

Abstract:

The official of the Arabic Language in Chad

This article tackles the issue of Arabic language and its relation to population, social and political forms in Chad. Basically, it centers on the causes which make ubiquitous of Arabic and its development over centuries, ever since pre-rising of Islamic Kingdoms, and its place to state and society alike, in Chad. Also, the paper focuses on difficulties that challenge propagation of Arabic since the era of French colonization. It therefore, reveals that the site of Chad and neighboring

¹ الأمين العام ونائب رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد

of some Arabic tongues countries (e.g. Libya and Sudan), settlement of some Arabic tribes in the region since earlier history, in addition to religion, all had illustrated the main factors which maintain propagation of Arabic in Chad. Moreover, characterized of Arabic language as an official and learning language as well as in public Maida remained addition reasons behind presence of Arabic in the country. At last, the paper, shed-light on the role made by French administration and its endeavor to obstruct ways and limit widen of Arabic in Chad.

تقديم:

هذا البحث بعنوان: (رسمية اللغة العربية في تشاد - الأسس والمركبات).

نقتب فيه عن جوانب جوهرية تخص اللغة العربية في تشاد، هادفاً إلى تبيان الأسس المتينة والقواعد الثابتة، التي ترتكز اللغة العربية عليها في وجودها وبقائها وتطورها في تشاد، من خلال عرض معلومات واضحة، وحقائق دامغة خلال مسيرتها، لا مجال للشك في معانيها، أو الارتياح في مدلولاتها، وبديهي أن ما تبوأته اللغة العربية من مكانة في تشاد - حسب ما أكد في آخر تعديل دستوري عام 2005م - من أنها لغة رسمية للدولة بجانب اللغة الفرنسية، لم ينشأ من فراغ ولم يأت من سراب، وإنما نتج عن معطيات أصيلة ومنتينة.

ويستعرض البحث ذلك إن شاء الله من خلال تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة كما

يلي:

- التمهيد.

- أولاً: دخول اللغة العربية إلى تشاد وتوطنها.

- ثانياً: عوامل انتشار اللغة العربية في تشاد.

- ثالثاً: رسمية اللغة العربية في الدساتير التشادية.

- رابعاً: رسمية اللغة العربية في الواقع التشادي بين الدعم والرفض.

ونستعين بالله ونسأله التوفيق والسداد، وأن يقينا الهوى والخطأ والنسيان، ومجانبة الحق والرشاد والصواب.

أولاً: التمهيد:

إن مصطلح اللغة الرسمية أصبح من المصطلحات الملازمة للدولة في العصر الحديث، وتحرص معظم الدول على تحديد لغتها أو لغاتها الرسمية في دساتيرها، ويقصد برسمية اللغة أنها اللغة المعترف بها في تسيير شؤون الدولة الإدارية والمالية والسياسية والتعليمية، ويتبع ذلك استخدامها في الإعلام والمراسلات والمخاطبات العامة والاتفاقات والمواثيق وغير ذلك، واعتراف دولة ما برسمية لغة ما يشير إلى أن لها وجوداً فعلياً على أرض الواقع، ومما يدعم رسمية اللغة - إذا كانت مكتوبة - استعمالها من قبل مجموعة كبيرة من الشعب، وأصبحت اللغة من الحقوق السياسية للجماعات التي تشكل دولة ما، حيث تحرص على أن يقر الاعتراف باستخدامها بشكل رسمي في الشؤون العامة للدولة، وقد أدى هضم هذا الحق بصورة متعمدة من بعض الجماعات المتحكمة في المجتمع إلى نشوب بعض الثورات والحروب في أجزاء متعددة من العالم خلال الفترة الماضية .

والأصل في منح لغة ما صفة الرسمية في الدولة وجود جماعة تستخدمها من الجماعات المكونة للمجتمع، إلا أن الاستعمار الأوربي عمل على فرض لغاته علي الشعوب التي استعمرها في إفريقيا وأمريكا الجنوبية وغيرها من بقاع العالم، دون أن يكون لها وجود فعلي في المجتمع، بأساليب عديدة من أبرزها خلق طبقة من المجتمع تتحدث بلغة المستعمر، من خلال فرض لغته خاصة في الإدارة والتعليم والإعلام، إلا أن هذا كثيراً ما يجعل اللغة لغة نخبة سرعان ما تتضعض مكانتها وتتلاشى مع زوال سلطة المستعمر، كما حدث في دول عربية وآسيوية، ومع هذا فإن الأسلوب الاستعماري قد ينجح في فرض رسمية لغة المستعمر في بعض البلدان التي ليس لها لغات حية مكتوبة أو عندما ينجح في خلق قطاع كبير من المتعلمين والمثقفين بلغته.

أولاً: دخول اللغة العربية إلى تشاد وتوطنها:

يشير عدد من الباحثين إلى أن هجرة القبائل العربية إلى منطقة حوض بحيرة تشاد كانت في عصور سبقت قيام الممالك الإسلامية في المنطقة⁽¹⁾ ويؤكد ذلك أننا نجد للقبائل العربية أثراً واضحاً في التكوين السكاني والاجتماعي والسياسي للمنطقة، بل يذكر بعض الباحثين أن هجرة القبائل العربية إلى المنطقة كان قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ولهذا فإن دخول العنصر العربي إلى المنطقة قديم جداً.

وقد تدعم وجود العرب وتأثيرهم في منطقة حوض بحيرة تشاد بعد مجيء الإسلام بفعل دوافع دينية وسياسية طرأت ساعتئذ، وفي جميع الأحوال فإن أغلب هجرات العرب إلى منطقة حوض بحيرة تشاد لم تكن هجرات فردية، بل كان معظمها هجرات جماعية، ولهذا كان لها أثر كبير وواضح في تعريب المنطقة، ولقد كان للقبائل العربية مشاركة أساسية وواضحة في نشأة واستمرار الممالك الإسلامية الرئيسية التي وجدت في المنطقة، وهي مملكة كانم برنو- ومملكة باقرمي- ومملكة وداي، فلموك كانم يربطون سلسلة نسبهم بسيف بن ذي يزن الحميري، وخلص العلامة إبراهيم صالح إلى أن اتصال العرب بكانم يرجع إلى القرن التاسع الميلادي، وذلك قبل دخول أهالي (كانم) في الإسلام بنحو قرنين⁽²⁾. وأشار إلى استعانة بعض سلاطين كانم بالقبائل العربية لحرر مناوئهم والانتصار على أعدائهم⁽³⁾.

وقد تكرر هذا الأمر عند نشأة مملكة باقرمي أيضاً التي قامت على عهد الزعيم (دو كنج) مؤسس مدينة ماسينا، وهو (برني بيسي) بناها عام 1513م، قامت هذه المملكة على قبائل العرب والفلاتة والكانوري، بالإضافة إلى السكان الأصليين⁽⁴⁾.

وهذه الظاهرة تزداد وضوحاً في نشأة مملكة وداي عام 1615م، (فإن القبائل العربية التي استوطنت وداي (الأرمقو) هم كثيرون.. ولكن الثابت هو أنهم عضدوا

عبد الكريم القادم من شندي، والذي ينتمي لقبيلة الجعليين عندما أطاح بحكم التتجر وأدخل الإسلام في البلاد.

ومن القبائل التي هبت لنصرته المحاميد والمهريّة والعريقات والنوايبة وبنو هلبة وأبوشدر(5).

وتؤكد هذه المعلومات وجود القبائل العربية في المنطقة قبل ظهور الممالك فيها، كما ورد سابقا، وتؤكد أن هذه القبائل كانت كثيرة ومنتشرة، حتى أصبحت جزءا من النسيج الاجتماعي في المنطقة. وقد أكد الرحالة الألماني جوستاف ناختيقال في نصه السابق كثرة القبائل العربية القاطنة في دار وداي. وقد أورد أسماء أكثر من ثلاثين قبيلة من القبائل العربية في دار وداي(6)، في حين أورد العلامة إبراهيم صالح أسماء أكثر من خمسين قبيلة عربية قاطنة في منطقة بحيرة تشاد وبرنو(7).

وبما أن القبائل العربية بهذه الكثرة، وأنها قادمة إلى المنطقة من مناطق أكثر تحضرا، واللغة العربية لغة حية مكتوبة بخلاف اللهجات واللغات الموجودة في المنطقة- فإن كل ذلك ساهم في تعريب منطقة حوض بحيرة تشاد، وجعل ممالكها تستخدم اللغة العربية كلغة رسمية في دواوينها، وكل ذلك ساهم في شيوع وانتشار اللغة العربية لدى سكان المنطقة، وقرر ابن عمر التونسي هذه الحقيقة في دار وداي بقوله: (ولقلة مكثي في بلادهم وكثرة العربية لم أحتج أن أتعلم لغتهم)(8).

بل أن اللغة العربية شملت نواحي الحياة كافة في ممالك المنطقة (فلقد انتشرت اللغة العربية في تشاد منذ دخول الإسلام وقيام الممالك الإسلامية في العصور الوسطى حيث أصبحت لغة التعليم الديني وأداة التخاطب والمراسلات والثقافة بين المسلمين، فضلا عن كونها لغة المعاملات التجارية والمكاتب الحكومية والمراسلات الدولية ليس فقط عند الممالك التشادية، ولكن عند جميع الممالك الإسلامية التي قامت في السودان الأوسط والغربي.(9)

وقد ذكر إبراهيم على طرخان قبل ذلك هذه الحقيقة عن مملكة كانم -برنو بقوله: (كما صارت العربية لغتها الرسمية في شتى مناحي الحياة من نظم حكم وإدارة واقتصاد وثقافة وعلوم وفنون)⁽¹⁰⁾.

ونقل ابن عمر التونسي مراسم افتتاح سلطان وداي لمجلسيه العموميين الأسبوعيين حيث يبدأ الترجمان (*) بنقل سلام السلطان للحاضرين حسب درجاتهم باللغة العربية⁽¹¹⁾، كما ذكر الرحالة جوستاف ناختيقال أثناء استقبال سلطان وداي له بأن (الطويرات- رسل السلطان- كانوا يقتربون منه طوال فترة مثولي أمامه، فيسمع إلى تقاريرهم ويصدر إليهم التوجيهات باللغة العربية)⁽¹²⁾.

وفي مجال التعليم في الممالك الإسلامية التشادية فإنه كان أيضا باللغة العربية وحدها، حيث تدرس الكتب التعليمية المستخدمة في التعليم في أنحاء الدول الإسلامية في تلك الفترة في القراءات والتجويد والتفسير والحديث والفقهاء واللغة العربية. ويؤكد هذه الحقيقة التراث العلمي من المؤلفات والكتب والقصائد والوثائق والمخطوطات الموروثة من الممالك التشادية.

ويستخلص مما سبق أن اللغة العربية قد دخلت إلى منطقة حوض بحيرة تشاد في وقت مبكر، وأصبح لها السيادة على اللغات واللهجات الموجودة في المنطقة، حيث أصبحت لغة التخاطب بين أفراد المجتمع في الأسواق والمناسبات واللقاءات وما زالت تحافظ على هذه المكانة إلى الآن، كما أصبحت اللغة الرسمية- دون منازع- في الممالك الإسلامية التشادية تسير بها شؤونها الإدارية والتعليمية.

ثانيا: عوامل انتشار اللغة العربية في تشاد:

إن ما أشير إليه في المبحث السابق من انتشار اللغة العربية وسيادتها في منطقة حوض بحيرة تشاد كان بسبب عوامل موضوعية أدت إلى هذه النتيجة منها:

1- العامل الجغرافي:

تقع منطقة تشاد في محيط عربي ، حيث يحدها من الشمال والشرق دول عربية (ليبيا والسودان) كما أن كلاً من مصر والجزائر، وإن لم يكن لهما حدود مباشرة مع تشاد، إلا أن حدودهما عن تشاد لاتبعد أكثر من 200 إلى 300 كيلومتر ،وهذا التماس الجغرافي أتاح انسياب القبائل العربية إلى المنطقة منذ القدم، يقول عبد الرحمن عمر الماحي: (ومما ساعد على استقرار القبائل العربية في المنطقة عدم وجود حواجز طبيعية بين تشاد والبلدان العربية المجاورة)⁽¹³⁾، وتشاد اليوم لا تستطيع أن تنفك أو تتنكر لمحيطها الطبيعي الجغرافي، ولا لعلاقات الجوار والتعاون التي تجمعها مع البلاد العربية، فضلا عن الوشائج الاجتماعية والثقافية التي تربطها مع قبائلها وشعوبها ومجتمعاتها.

2- توطن القبائل العربية في تشاد:

كان لموقع تشاد الجغرافي أثر كبير في تسهيل هجرة كثير من القبائل العربية واستيطانها في منطقة حوض بحيرة تشاد خلال حقبة تاريخية مختلفة. وشملت هذه الهجرات القبائل العدنانية والقحطانية حتى أصبح العرب في تشاد يشكلون أكبر المجموعات العرقية. وبما أن حرفة الرعي هي الحرفة الأساسية لمعظم القبائل العربية، فإن هذا اتاح لها التنقل والرحيل في معظم مناطق تشاد؛ مما أدى إلى احتكاكهم بالمجموعات المحلية، وإضافة إلى ذلك فإن حرفة الرعي أكسبت القبائل العربية في تشاد الصلابة والقوة والشجاعة، مما جعلهم يشكلون دعائم النظم السياسية التي تعاقبت على حكم المنطقة، فهم القادة والزعماء والوجهاء والعلماء وهم في الوقت نفسه الجنود والمحاربون، وقد منحهم كل ذلك مكانة مرموقة في المجتمع، وجعل لهم تأثيراً قويا عليه.

3- العامل الديني:

فقد اعتنق غالبية سكان منطقة حوض بحيرة تشاد الإسلام منذ وقت مبكر، ومعلوم أن الإسلام يحض على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي لغة شعائر الدين ولغة التراث العلمي لمعرفة وفهم أحكام الإسلام في شؤون الدنيا والآخرة، وهذا لا يعني بأن المسلمين فقط هم الذين يتعلمون اللغة العربية في تشاد، بل إن غير المسلمين يتعلمونها أيضا باعتبارها لغة المجتمع ولغة حضارة منتشرة في المحيط الذين يعيشون فيه.

وهناك كثير من القبائل التشادية ذات الأصول غير العربية اختلطت لغاتها باللغة العربية بنسبة كبيرة جدا، وأصبح أفرادها يتحدثون حتى فيما بينهم باللغة العربية في كثير من الأوقات، وهذا نتيجة للعامل الديني الذي يجعلهم يقدسون اللغة العربية ويعتزون بها، ويحافظون عليها باعتبارها لغة دينهم الذي هو أسمى مقدساتهم.

4- العامل الاجتماعي:

اتسمت القبائل العربية في تشاد بالانفتاح والاختلاط مع المجموعة العرقية المختلفة في المنطقة، وساهمت حياة التنقل والرحيل التي عاشتها القبائل العربية في توسيع وتعميق اختلاطها مع المجموعات الأخرى، بل إن هذا الاختلاط بلغ حد الامتزاج من خلال عمليات التزاوج والمصاهرة بين العرب والقبائل الأخرى؛ مما أدى إلى تداخل الأسر وتشابك القرابات بينهما، وكل ذلك ساهم بشكل كبير في نشر اللغة العربية وسيادتها .

ثالثا: رسمية اللغة العربية في الدساتير التشادية

قبيل استقلال تشاد صدر دستور الرابطة الفرنسية بتاريخ 4 أكتوبر 1958 الذي يضم كلاً من الغابون والكنغو الأوسط وأوبانغي شاري وتشاد، وذلك عقب الاستفتاء الذي أجري بتاريخ 1958/9/28م، وصوتت بموجبه هذه الدول لصالح الانضمام إلى الرابطة الفرنسية بدلا عن الاستقلال التام عن فرنسا، فأصبحت هذه

الدول تتمتع باستقلال ذاتي في إطار الرابطة الفرنسية، إلا أن هذا الدستور لم يلتفت إلى المكونات الثقافية والحضارية المكتسبة لشعوب المنطقة خلال تاريخها الطويل، وقد صدر الدستور بتوقيع الرئيس الفرنسي شارل ديغول ولم يشر فيه إلى مسألة اللغة الرسمية لهذه الدول، وإن كان يفهم من العنوان (الرابطة الفرنسية) إن اللغة الفرنسية هي لغة الرابطة.

بعد ذلك صدر دستور جمهورية تشاد لعام 1959م، الذي اعتمده الجمعية التشريعية المكونة في إطار سياسة الاستقلال الذاتي داخل الرابطة الفرنسية. وقد نص هذا الدستور صراحة على أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة الفرنسية ولم يشر إلى اللغة العربية حتى عندما تحدث عن لغة التعليم في الدولة ذكر بأنها اللغة الفرنسية مع وضع برنامج للاهتمام بلغات التخاطب الأخرى دون أن يحددها.

عقب الاستقلال صدر القانون الدستوري رقم (18) بتاريخ 28 نوفمبر 1960م، ونص هو أيضا على أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة الفرنسية، ولكنه أزال الغموض الموجود في دستور 1959م حول لغات التخاطب الأخرى التي يهتم بها في التعليم بجانب اللغة الفرنسية. حيث نص على أن اللغة الفرنسية لغة التعليم مع إعطاء مكانة خاصة للغة العربية، وهذا يشير إلى أن اللغة العربية بدأت تظهر ولو بشكل ضعيف في دستور البلاد بعيد الاستقلال. مما يعني أن الطبقة السياسية بدأت تلتفت إلى المكونات الثقافية للشعب. وقد احتفظ القانون الدستوري رقم (2) الصادر بتاريخ 16 ابريل 1962م بهذا الوضع نفسه، والفارق الشكلي الوحيد الذي حدث هو موضع لغات التعليم الذي نقل من المادة السادسة في قانون 1960م، إلى ديباجة قانون 1962، وإن كان لا يبعد أن يعد هذا نوع من التراجع بنقل النص من المواد المحددة إلى فقرة عامة (الديباجة).

ثم ظهرت اللغة العربية لأول مرة كلغة رسمية للبلاد دستوريا في الميثاق الأساسي للجمهورية لعام 1978م، الذي اعتمد بعد اتفاق الخرطوم لعام 1977م، بين

الحكومة التشادية والقوات المسلحة الشمالية (FAN)، حيث نصت المادة(24) منه بشكل صريح في فقرة السياسة الداخلية بأن اللغة الفرنسية واللغة العربية يكونان اللغتين الرسميتين للبلاد، وواضح استجابة الحكومة لمطلب القوات المسلحة الشمالية في جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة بجانب اللغة الفرنسية، حيث إن القوات المسلحة الشمالية هي إحدى الجبهات المتصدعة عن جبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينيا) التي كان من مطالبها الأساسية جعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد مع اللغة الفرنسية.

وفي عام 1982م كان حسين هبري قائد القوات المسلحة الشمالية (FAN) قد استولى على السلطة وأصدر الميثاق الانتقالي للجمهورية بتاريخ 29 سبتمبر 1982م، وورد في المادة الأولى من الفصل الأول المتعلق باستقلالية الدولة أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية، ثم صدر دستور عام 1989م الذي أقر في استفتاء شعبي بتاريخ 10 ديسمبر 1989م، وجاء في المادة السادسة من البند الأول منه المتعلق باستقلالية الدولة أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية وهي نفس عبارة الميثاق الانتقالي لعام 1982م. وقد تميز هذا الدستور ببروز النزعة الوطنية حيث أشير في مقدمته للممالك التشادية وبعض الأحداث الوطنية في تاريخ تشاد المعاصر.

وبعد استيلاء الحركة الوطنية للإنقاذ على السلطة بقيادة الرئيس الدكتور إدريس ديبي انتو عام 1990م أصدرت الميثاق الوطني بتاريخ 28 فبراير 1991م، الذي نصت المادة الرابعة منه على أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية، وذلك ضمن الفصل الأول المتعلق باستقلالية الدولة، ثم صدر الميثاق الانتقالي لجمهورية تشاد بتاريخ 5 أبريل 1993م المعتمد من المؤتمر الوطني المستقل الذي عقد لحل المشاكل المختلفة وحسم الخيارات الوطنية التي أدت إلى أن تعيش تشاد في مرحلة حروب وعدم استقرار منذ استقلالها. وقد نصت المادة الرابعة من هذا الميثاق الانتقالي

على أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية، وكان موضوع اللغة العربية من الموضوعات التي نوقشت خلال جلسات المؤتمر بتان وعمق، أفضيا إلى اعتمادها، وقد استغرقت جلسات المؤتمر حوالي ثلاثة أشهر (صباحا ومساء).

ثم صدر دستور جمهورية تشاد لعام 1996م الذي أقر باستفتاء شعبي بتاريخ 31 مارس 1996م، ونصت المادة التاسعة منه من البند الأول المتعلق باستقلالية الدولة على أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية، واحتفظت اللغة العربية بهذه المكانة نفسها في التعديل الدستوري لعام 2005م الذي اعتمد من فخامة رئيس الجمهورية بعد إجازته من مجلس الوزراء والجمعية الوطنية وهو دستور البلاد الساري مفعوله حالياً⁽¹⁴⁾.

وبناء على مسيرة رسمية اللغة العربية في الدساتير التشادية فإنه يلاحظ أنه تم تجاهلها وتهميشها في دساتير ما قبل الاستقلال وبعيده، ثم بدأت الدساتير تشير إلى إعطائها مكانة خاصة في التعليم العام، وبعد النضال الشعبي المسلح الذي كان من ضمن مطالبه جعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بجانب اللغة الفرنسية، كما جاء في أدبيات جبهة التحرير الوطني التشادية (فرولينيا) - التي ناضلت لاسترداد بعض الحقوق الوطنية، عليه أدرجت اللغة العربية لغة رسمية للدولة في الميثاق والدساتير الصادرة بعد ذلك خاصة بعد اتفاق الخرطوم لعام 1977م، الموقع بين الحكومة التشادية والقوات المسلحة الشمالية (FAN) ثم اعتمدت رسمية اللغة العربية بعد ذلك في الدساتير التي أقرت باستفتاءات شعبية في المراحل اللاحقة مساوية في ذلك اللغة الفرنسية، مما يثبت بأن اللغة العربية استردت مكانتها الدستورية في ظل عهد السيادة الوطنية لأنها تمثل وجدان الشعب، بل أصبحت اللغة العربية بجانب اللغة الفرنسية إحدى المواد الثابتة في الميثاق والدساتير التشادية الصادرة بعد عام 1978م، ويورد ذلك في بند استقلالية الدولة، الذي يتضمن سيادة الدولة وطبيعتها وعلمانيتها

ومساحتها وشعارها وعلمها وغير ذلك من الأمور الأساسية والثابتة في كيان الدولة ووجودها.

وهذه المسيرة للغة العربية في الموثيق والداشير التشادية تبين أنها استردت مكانتها التاريخية في تشاد، مما يدل على أن الدساتير التشادية قد ربطت ماضي تشاد العريق بحاضرها الواعد من خلال وصل مرحلة رسمية للغة العربية في الممالك التشادية برسميتها في عهد السيادة الوطنية.

رابعاً: رسمية اللغة العربية في الواقع التشادي بين الدعم والرفض:

أثبت البحث أن للغة العربية تاريخاً مشرقاً وباهراً في تشاد خلال مرحلة الممالك الإسلامية التشادية في العصور الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر، عندما قضى عليها الاستعمار الفرنسي في مطلع القرن العشرين، وحاول إبادة اللغة العربية وإزاحتها من المكانة الرفيعة التي تتمتع بها في المنطقة، وقد تتبع البحث تدرج اللغة العربية في استردادها لمكانتها من خلال الموثيق والداشير التشادية، وسوف يستعرض هذا المبحث رسمية اللغة العربية في الواقع العملي من خلال إبراد بعض الإجراءات والمواقف التي اتخذت تجاه اللغة العربية لدعمها أو لمحاربتها، ونبدأ ذلك بتقرير حقيقة بارزة، وهي أن اللغة العربية الدارجة صارت منذ فترة بعيدة للغة العامة والسائدة بين الشعب في الممالك التشادية الإسلامية، فهي لغة التخاطب والحديث اليومي في الأسواق والطرق والمنااسبات الشعبية والملتقيات العامة، وما زالت تحافظ على هذه المكانة في وقتنا الحاضر، ويلاحظ أن اللغة العربية الدارجة التي تأثرت سلباً بالفترة الاستعمارية حيث دخلتها بعض الكلمات الأعجمية والفرنسية وشابها قدر كبير من الركافة أصبحت تصفو وترتقي في السنوات الأخيرة حيث بدأت تتدرج في التخلص من هذه الكلمات الدخيلة وتقرب أكثر فأكثر من الفصحى، ويلاحظ المراقب الفرق الشاسع بين اللغة العربية الدارجة التي كانت تقدم بها نشرة الأخبار في الإذاعة الوطنية في سبعينات وحتى أواسط ثمانينات القرن الماضي، وبين اللغة الدارجة التي

تقدم بها النشرة الإخبارية اليوم، فهناك تطور واسع وكبير بفضل انتشار وتطور مؤسسات التعليم العربي في البلاد، وتنامي الطبقة المتعلمة من مثقفي اللغة العربية، وزيادة الاستماع للإذاعات العربية ومشاهدة القنوات الفضائية العربية الدولية.

وعلى الصعيد الرسمي وجدت اللغة العربية خلال تاريخها في تشاد كثيرا من الدعم والمناصرة والتأييد والتمكين من النظم السياسية المتعاقبة، كما واجهت بعض المؤامرات والدسائس لمحاربتها، ويستعرض هذا المبحث بعض الجوانب في هذا الإطار فيما يلي:

أ- جهود دعم وتأييد وتمكين اللغة العربية في تشاد

نشير إلى بعض هذه الجهود في الآتي:

- 1- الاعتراف بها كلغة رسمية للدولة بجانب اللغة الفرنسية في المواثيق والداستير التشادية، وجمهورية تشاد هي الدولة الوحيدة خارج جامعة الدول العربية التي تتخذ من اللغة العربية لغة رسمية لها: وذلك منذ أكثر من ثلاثة عقود.
- 2- استخدام اللغة العربية في الإذاعة الوطنية والتلفزيون التشادي منذ افتتاحهما لتقديم الأخبار والبرامج والإعلانات، كما كانت تصدر صحيفة الوطن شبه الرسمية باللغة العربية خلال الثمانينيات من القرن الماضي.
- 3- جعل اللغة العربية لغة إجبارية في مدارس التعليم الحكومية الفرنسية من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية، وتوظيف آلاف من معلمي اللغة العربية لتدريسها في تلك المدارس. وتشهد هذه السياسة تسارعا ملحوظا ومطرذا منذ عشرة أعوام تقريبا.
- 4- افتتاح الكليات والأقسام العربية في الجامعات الحكومية فجامعة أنجمينا افتتح فيها قسم اللغة العربية بعد افتتاحها عام 1971م ضمن مكونات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ثم افتتح قسم التاريخ باللغة العربية عام 1995م، وقسم الجغرافيا عام 2008م، وافتتح قسم البيولوجيا بكلية العلوم التطبيقية عام 1996م، واتبع بعد ذلك بافتتاح قسم الرياضيات، وجامعة آدم بركة في مدينة أبشة أنشئت فيها

أقسام اللغة العربية والتاريخ، والحقوق باللغة العربية منذ افتتاحها، كما يضم المعهد الوطني للعلوم التربوية (ISSED) عددا من الأقسام العربية.

5- الاعتراف بالشهادة الثانوية العربية عام 1986م، وتنظيمها علي قدم المساواة مع الشهادة الثانوية الفرنسية من قبل مكتب البكالوريا بجامعة أنجمينا، ويبلغ عدد الذين يؤدونها حاليا أكثر من ثلاثة آلاف سنويا.

6- الإرادة السياسية لدى القيادة التشادية في تطبيق الثنائية اللغوية وقد عبر عنها صراحة فخامة رئيس الجمهورية الدكتور/ إدريس ديبي اتنو في كثير من المناسبات العامة منها خطابه الشهير للشعب التشادي في مدينة سار بجنوب البلاد بمناسبة مطلع العام 2010م، الذي نادي فيه بضرورة إدخال تدريس اللغة العربية في جميع المدارس بصورة جادة، وأن ينال مثقفو اللغة العربية نفس الحقوق والامتيازات والمناصب التي يحظى بها زملاؤهم المثقفون باللغة الفرنسية، كما نادى بأن يتاح للغة العربية قدر مساو للغة الفرنسية من ساعات البث في الإذاعة والتلفزيون الوطنيين.

7- استخدام اللغة العربية في بعض الخطابات الرسمية في المناسبات العامة من القادة التشاديين ومن أرفع المسؤولين في الدولة ، فقد ألقى فخامة رئيس الجمهورية الدكتور إدريس ديبي اتنو، أول خطاب رسمي لرئيس جمهورية تشاد باللغة العربية في المؤتمر العلمي الدولي حول (الديمقراطية والسلام والتنمية في تشاد خلال عقدين من عهد فخامة الرئيس إدريس ديبي اتنو) الذي نظمته جامعة الملك فيصل بتشاد في شهر أكتوبر 2010م بأنجمينا.

وألقي عدد من كبار المسؤولين في الدولة خطابات رسمية باللغة العربية في مناسبات مختلفة في جامعة الملك فيصل بتشاد وغيرها، منهم دولة رئيس الوزراء الأسبق السيد موسي فكي محمد ومعالي وزير التعليم العالي الأسبق السيد عمر الفاروق إدريس، والحالي السيد الدكتور أحمد جده محمد، ومعالي وزير العلاقات الخارجية

الأسبق والحالي السيد / موسي فكي محمد، ومعالي وزير التربية الوطنية الأسبق السيد/ محمد عز الدين مولود، والسابق السيد / أبوبكر الصديق شرومة وغيرهم من المسؤولين.

8- أصدر دولة الوزير الأول رئيس الحكومة الدكتور نورالدين دلوا

كاسيري كوماكوي مذكرة (15) بتاريخ 1994/6/14م، موجهة إلى جميع الوزراء يطلب منهم أن يأمرؤا بكتابة لافتات أبواب مكاتبهم وأبواب مختلف الأقسام التابعة لوزارتهم باللغتين الرسميتين (الفرنسية والعربية)، وأردفها بمذكرة أخرى(16) بتاريخ 1994/11/9م، موجهة إلى جميع الوزراء ورؤساء المؤسسات العامة يطلب منهم أن يدرجوا ضمن ميزانياتهم لعام 1995م آلات طباعة عربية فرنسية، وطباعين ومترجمين باللغتين، وقد تم تعريب عدد كبير من الواجهات الرسمية للوزارات والإدارات الحكومية والبلديات والجامعات وغيرها.

9- أصدرت بعض الوزارات والإدارات الحكومية أوراقها الرسمية

وأختامها باللغتين (العربية والفرنسية). كما أصدر جواز السفر والبطاقة الشخصية الوطنية باللغتين.

10- اهتمام الدولة الكبير بدعم ومساندة جامعة الملك فيصل بتشاد، وهي

جامعة أهلية تستخدم اللغة العربية في التدريس في جميع كلياتها وأقسامها (افتتحت في العام الجامعي 1991-1992م)، فقد منحتها الدولة مجموعة من الأراضي لمنشأتها وكلياتها، وتتحمل عنها تكاليف الكهرباء والماء، وتبعث إليها عددا كبيرا من الأساتذة الموظفين في الدولة للعمل في الجامعة، كما تخصص لها دعما ماليا سنويا. ومن مظاهر العناية بالجامعة أن فخامة رئيس الجمهورية زار الجامعة شخصا ثلاث مرات، الأولى افتتح فيها المؤتمر العلمي الدولي حول اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل عام 2001م، والثانية افتتح فيها منشآت كلية الشارقة للعلوم التربوية عام 2005م، وتبرع فيها ببناء كلية للحقوق والثالثة كرم فيها خريجي الجامعة وافتتح المؤتمر العلمي الدولي حول الديمقراطية والسلام والتنمية في تشاد عام 2010م،

إضافة إلى زيارات من دولة رئيس الوزراء، ومعالي الوزراء، وأصحاب السعادة من كبار المسؤولين في الدولة، وتجد الجامعة هذا الدعم والمساندة باعتبارها تساهم في تحقيق سياسة الدولة في مجال الثنائية اللغوية المنصوص عليها في الدستور.

11- وبدأت الدولة في السنوات الأخيرة بتعيين وزراء من مثقفي اللغة العربية، باعتبارهم يمثلون هذه اللغة، منهم: أصحاب المعالي الوزراء السادة عثمان جده محمد، وعبدالرحيم يونس علي، ويحيي إبراهيم جباي، وخديجة حسب الله، ونعيمة موسي عبد المعطي وأبو بكر الصديق شرومة، وأحمد جده محمد، إضافة إلى عدد كبير من الأمناء العاميين (وكلاء الوزارات) والمديرين ورؤساء الأقسام وكبار المسؤولين في مختلف الإدارات والوزارات.

12- صدر المرسوم الرئاسي (17) رقم: 1577/رح/ ر و / و ت ع 2011/م بتاريخ 2011/12/21م بتعيين عميد لكلية علوم الصحة البشرية بجامعة إنجمينا كأول مرسوم يصدر باللغتين العربية والفرنسية وتتابع بعد ذلك صدور المراسيم باللغتين، وبدأت وزارة التعليم العالي بعد ذلك بإصدار قراراتها باللغتين أيضاً.

13- صدر القرار الوزاري (18) رقم: 95/رح/ ر و / و ت ع / أ ع / 2012م، بتاريخ 2012/3/13م من معالي وزير التعليم العالي يوجه فيه كل الإدارات الفنية بالوزارة والمؤسسات التابعة لها إلى إعداد المراسلات والوثائق الصادرة عنها باللغتين الرسميتين لجمهورية تشاد وهما العربية والفرنسية.

ب أساليب محاربة اللغة العربية :

واجهت اللغة العربية خلال تاريخها في تشاد بعض الحملات العنيفة لاستئصالها والقضاء عليها، كما واجهت كثيرا من المؤامرات والدسائس التي تسعى إلى تهмиشها وإضعاف مكانتها في المجتمع والدولة، ولكن بحمد الله لم تفلح المكائد الموجهة ضدها لرسوخ جذورها في وجدان ومشاعر الشعب التشادي ونذكر بعض المواقف العدائية التي واجهتها فيما يلي:

1- عند غزو الفرنسيين لتشاد عام 1894م، وجدوا اللغة العربية سائدة فيها، فهي اللغة الرسمية للممالك الإسلامية التشادية التي قضوا عليها، وهي اللغة العامة للشعب، ولغة التعليم الموجود في المنطقة، وقد تعاملوا مع هذه الحقيقة الواقعية في بداية الأمر، فقد اعترف الحاكم العسكري الفرنسي بهذه الحقيقة، وتقبل رسائل عديدة كتبت باللغة العربية حفظ لنا المتحف الوطني التشادي نماذج منها تحت رقم: 764 بتاريخ 1935/2/15م، وهي مرسله إلى الحاكم العسكري الفرنسي ديك آدم، وأخرى تحت رقم: 1928/676م، وأصدر الحاكم العسكري الفرنسي جريدة باللغة العربية اعترافاً منه بمكانة اللغة العربية وهي - كوكب تشاد - لدينا عدد منها صادر سنة 1954 (19). وفي حقيقة الأمر ليس هذا إلا خداع ومرأوغه، فالسياسة الإستراتيجية للفرنسيين هي إزالة اللغة العربية، وقد تجسد ذلك في مذبحة الككب عام 1917م، التي أبادوا فيها حوالي (400) عالم من علماء الشريعة واللغة العربية والشعراء، كما تجسد موقف الفرنسيين في تهميش اللغة العربية وإقصائها من شؤون الدولة في الإدارة والتعليم.

2- شعر الفرنسيون بعزوف المسلمين عن المدارس التعليمية التي أنشأوها لفرنسة المجتمع فعملوا على افتتاح بعض المؤسسات ثنائية اللغة في الظاهر لجذب مثقفي اللغة العربية، ومن ثم دمجهم في الثقافة الفرنسية، وأبرز مثال لذلك ثانوية (فرنكو أراب) بأبشة (عندما تبين للمستعمرين الفرنسيين فشل وعقم سياستهم في إبادة اللغة العربية وفرض الفرنسية بالقوة، سعوا إلى استيعاب بعض العلماء والشيوخ وتوظيفهم في بعض المدارس المزدوجة (فرنسية / عربية) في الظاهر، لاستخدامهم كطعم لجذب الدارسين باللغة العربية إلى مدارسهم التي أنشأها لإعادة صياغة هذه الفئة حسب خططه، ولما لم تأت هذه السياسة بطائل، نسبة لعزوف المسلمين عن تلك المدارس، وإنشائهم لمدارسهم الخاصة، حاول الفرنسيون قطع الطريق مرة أخرى (بفرنسة) خريجي هذه المدارس من حملة الشهادة الثانوية العربية في المرحلة

الجامعية بافتتاح قسم اللغة العربية فيها وفرض عدد كبير من المقررات على طلاب هذا القسم ليدرسونها باللغة الفرنسية مما يضطرهم إلى استنفاد قواهم الذهنية والعقلية في تلك المقررات الفرنسية في كل عام دراسي بينما تنحط مهاراتهم وقدراتهم في اللغة العربية حتى عن مستوى المرحلة الثانوية التي قدموا منها في نهاية المطاف، ولذا فهي خطة محكمة لاستيعاب و(فرنسة) هذا القطاع المتنامي من المثقفين باللغة العربية⁽²⁰⁾، (وعند إنشاء جامعة تشاد عام 1971م- جامعة إنجمينا منذ عام 1994م - تم فتح قسم لغة العربية فيما بعد، ضمن مكونات الجامعة في معهد الآداب والعلوم الإنسانية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية حالياً - ولكن هذا القسم كان علي غرار أقسام اللغة العربية في الجامعات الفرنسية، وكان بالتالي أحد ركائز الاستشراق في الجامعة، حيث رأسه المستشرقون لفترات طويلة، وعبر عن ذلك برنامجه الدراسي الذي لم يتم تغييره إلا عام 1994م)⁽²¹⁾. ومن ناحية أخرى كانت تخصص منح دراسية في فرنسا للمتخرجين من جامعات العالم العربي لدراسة اللغة الفرنسية في فرنسا ومن ثم زجهم في الإدارات الحكومية التي تطغي عليها اللغة والثقافة الفرنسية)⁽²²⁾.

3- ومن هذه السياسات الماكرة المرتبطة بالحقبة الاستعمارية تعيين أساتذة غير مؤهلين لتدريس اللغة العربية، يقول الدكتور الماحي: (كان تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية يعتبر في حد ذاته مكسباً وطنياً، ولكن أحيط بسياج جعله عقيم النتائج، ولعل أكبر خطأ ارتكب في حق اللغة العربية في تشاد هي الطريقة المرتجلة التي اتبعت في تعيين المعلمين ففي عام 1959م و1960م أفسح المجال لكل من يعرف القراءة والكتابة كي يرشح نفسه ليكون معلماً.. وهذا معناه الاستمرار في تطبيق سياسة المحاربة التي كانت تتبعها الإدارة الفرنسية، وبالتالي عدم تشجيع المواطنين لدراسة اللغة العربية بطريق غير مباشر، لأن فاقد الشيء لا يعطيه)⁽²³⁾.

4- ومن أساليب المحاربة الحصار الفكري حيث منعت الإدارة الفرنسية دخول الكتب العربية في البلاد، وذلك لإفساح المجال أمام الثقافة الفرنسية والحضارة الأوربية⁽²⁴⁾، ومن ذلك منع دخول خريجي الأزهر الشريف من التشاديين العائدين من مصر خلال حقبة السبعينات من القرن الماضي بتهمة انتمائهم للثورة التشادية واعتقال من يرجع منهم لوطنه، دون أن يكون لهم أية علاقة في حقيقة الأمر إلا ثقافتهم العربية.

5- وبعد أن تبين للحاقدين فشل اللغة الفرنسية في مواجهة اللغة العربية في تشاد، وعدم قدرتها علي إزالتها، وضعفها عن القضاء عليها، بدأوا بالدعوة إلي العامية: (فأوجدوا لها حروفا باللاتينية، وألقوا لها قاموسا، يتكون من مجلدين كبيرين.. وامتد نشاطهم فجمعوا الأمثال الشعبية العربية التشادية والقصص الخرافية والحكم النادرة فكتبوها بأحرف لاتينية في شكل كتيبات صغيرة يسهل اقتناؤها وشراؤها، والجدير بالذكر أن مركز الدراسات من أجل التطوير والتنمية (CEFOD) الذي يعد أكبر مركز للبحوث في تشاد، قد بذل كل ما في وسعه في سبيل نشر العامية التشادية وكتابتها بالحروف اللاتينية، حيث أنشأ قسما كاملا لتدريس العامية التشادية لمختلف القطاعات الشعبية، وألف لذلك منهجا - دراسياً - سماه - ده هين DAHYIN (هذا سهل) ووضع لها قواعد إملائية وصرفية مرسومة ويتلقي الدارس خلاله 200 ساعة ليصبح بعدها قادر على إجادة العامية حديثا وقراءة وكتابة⁽²⁵⁾. وقد أثرت قضية الدعوة إلي العامية حتى داخل المؤتمر الوطني المستقبلي عام 1993م وباءت بالفشل، وأثيرت بعد ذلك في الإعلام (الإذاعة والتلفزيون) عام 2010م حيث خفض عدد ساعات البث باللغة العربية الفصحى لصالح البث بالعربية العامية.

6- وتبع فشل اللغة الفرنسية في مواجهة اللغة العربية في تشاد الدعوة إلي إحياء اللهجات واللغات المحلية (وحيثما شعر الفرنسيون بجدية محاولة اللغة العربية البدء في استعادة مكانتها الطبيعية على أيدي أبنائها الأوفياء ، بدأوا بطرح ما

يسمونه التعددية اللغوية بمحاولة بعث اللغات المحلية وتطويرها بل وتدريسها في المدارس، وإعداد القواميس باللغات المختلفة والتي تكتب بالحروف اللاتينية للوقوف في طريق تقدمها، وللعمل علي إزكاء المزيد من التشتت والفرقة. وقد تم اعتماد برنامج بوزارة التربية والتعليم لذلك ويعتبر ذلك خطوة إلي الوراء من جميع النواحي العلمية والثقافية⁽²⁶⁾ ومن المنظمات العاملة في هذا المجال المؤسسة الأمريكية (SIL) Societe international des langue التي أصدرت قواميس بلغات محلية لتدريسها ولها نشاط كبير تشاد⁽²⁷⁾، واورد الدكتور علي محمد قمر أسماء ثلاث عشرة لغة محلية تم كتابتها بالحرف اللاتيني⁽²⁸⁾.

7- ومن أخطر المؤامرات ضد اللغة العربية التذرع بتطبيق الثنائية اللغوية واستخدامها بصورة ملتوية لتحجيم اللغة العربية، ومن أبرز الأمثلة علي ذلك القرار الوزاري رقم 276/ وت ت و/ أع /1994م، الصادر من وزير التربية الوطنية محمد أحمد الحبو بتاريخ 13/12/1994م، والمتعلق بإدخال ثنائية التعليم في النظام التربوي التشادي⁽²⁹⁾، فقد قسم هذا القرار مؤسسات التعليم (الابتدائية - الإعدادية - الثانوية) إلى نوعين فقط هما: مؤسسات ثنائية اللغة، ومؤسسات فرنسية، مما يعني عدم الاعتراف بمؤسسات التعليم العربية، بل نصت المادة(3) من أن الغاية من تطبيق أحكام هذا القرار هي تحويل كل مؤسسات التعليم العربية العامة إلي مؤسسات تعليم مزدوجة اللغة⁽³⁰⁾ ويفرض القرار تدريس الحساب والعلوم الطبيعية باللغة الفرنسية في جميع المدارس ابتداء من الصف الخامس الإبتدائي وحتى نهاية المرحلة الثانوية العامة، مما يعني إفراغ التعليم العربي من محتواه، وإبعاده عن التخصصات العلمية المهمة في الدولة، وهذا القرار يناقض مقررات المؤتمر الوطني المستقبل، وتوصيات مؤتمر الأحوال العامة للتربية الوطنية (1994م)، ودستور البلاد، التي نصت جميعها على أن لغتي التعليم في تشاد هما الفرنسية والعربية.

8- ومن أوجه محاربة اللغة العربية ما تتعرض له جامعة الملك فيصل بتشاد، باعتبارها محضن تخريج الكوادر العليا من مثقفي اللغة العربية - من مضايقات ومؤامرات بين الفينة والأخرى، حيث كونت لجنة للعمل على إغلاقها في السنوات الأولى من افتتاحها عام 1992م، وما واجهه خريجوها من عراقيل لصددهم عن العمل في الوظيفة العامة للدولة خاصة خريجي الدفقات الأولى: 1995 و1996 ، إضافة إلى محاولة تأميمها وضمها إلى الحكومة (يوليو 2008)، وغير ذلك. ولكن بحمد الله باءت كل هذه المحاولات بالفشل.

ورغما عما واجهته اللغة العربية من دسائس ومؤامرات وحملات شعواء وحروب طاحنة إلا إن أغلب ذلك يعبر عن أحقاد فردية لبعض الأشخاص والجهات من المتفرنسين وأشباعهم، ولا ينم بحال من الأحوال عن سياسة إستراتيجية للدولة، خاصة بعد اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية للدولة في الميثاق الأساسي للجمهورية لعام 1978م، حيث إن التوجه العام منذ ذلك الوقت للحكومات التشادية وعلى أعلى مستوى من قيادات الدولة، هو توجه داعم للغة العربية بشكل واضح وصريح، ويسعى إلى أن يرد لها اعتبارها ومكانتها الرسمية في دواوين الحكومة، وهو موقف ينسجم من الإرادة الشعبية، ويستجيب للأسس المتينة والمرتكزات الراسخة للغة العربية في تشاد.

خلاصة البحث

فقد تناول هذا البحث موضوع: (رسمية اللغة العربية في تشاد) موضحا الأسس التي تعتمد عليها اللغة العربية في وجودها في تشاد، التي أدت إلى استخدامها كلغة رسمية للسلطات السياسية للدولة منذ قديم الزمان، مع الإشارة إلى المرتكزات التي أسبغت عليها الشرعية من الناحية القانونية، ويستعرض البحث هذا الموضوع من خلال تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

خصص التمهيد لبيان مصطلح(اللغة الرسمية) من حيث مدلول المصطلح من الناحية السياسية حيث تحرص أغلب الدول على تحديد لغتها أو لغاتها الرسمية في

دساتيرها، ويعني ذلك أن الدولة تعترف باستخدام اللغة الرسمية في تسيير شؤونها الإدارية والمالية والسياسية والتعليمية، ويتبع ذلك استخدامها في الإعلام والمراسلات والمخاطبات العامة والاتفاقات والمواثيق وغير ذلك، ويساهم استخدام مجموعة كبيرة من المواطنين للغة ما في جعلها لغة رسمية للدولة، حيث أصبحت اللغة من الحقوق السياسية للجماعات التي تشكل دولة ما، وكثيرا ما أدى هضم هذا الحق وعدم الاعتراف به إلي نشوء بعض النزاعات والثورات والحروب في أجزاء متعددة من العالم في الفترة الماضية.

ومع أن الأصل في جعل لغة ما لغة رسمية للدولة هو وجود مجموعة تستخدمها من المجتمع إلا أن الاستعمار الأوربي فرض لغاته على البلاد المستعمرة بالقوة بجعلها لغة الإدارة والتعليم والإعلام، وقد نجح هذا الأسلوب خاصة في البلاد التي ليس لها لغات وطنية حية ومكتوبة.

أما المبحث الأول فقد استعرض توطن اللغة العربية في منطقة حوض بحيرة تشاد منذ وقت مبكر، وقد كانت هجرة القبائل العربية إلى المنطقة هجرات جماعية؛ مما ساهم في تعريب المنطقة خاصة بعد مجيء الإسلام، حيث أصبح للقبائل العربية مشاركة أساسية في نشأة واستمرار الممالك الإسلامية التشادية في العصور الوسطى وهي: (مملكة كانم- برنو، ومملكة باقرمي، ومملكة وداي)، بل أصبحت القبائل العربية جزءا من النسيج الاجتماعي للمنطقة وقد أكد هذه الحقيقة الرحالة الألماني جوستاف ناختيقال حيث ذكر كثرة القبائل العربية في مملكة وداي ، وأورد أسماء أكثر من ثلاثين قبيلة منها، وكثرة القبائل العربية خاصة وأنها قادمة من مناطق أكثر تحضرا، إضافة إلى دورها السياسي ومكانتها الاجتماعية أدت إلى سيادة اللغة العربية على لغات ولهجات المنطقة حيث أصبحت لغة التخاطب بين المجتمع في الأسواق والمناسبات واللقاءات ، وأوضح ابن عمر التونسي ذلك بقوله: (ولقلة مكثي في بلادهم وكثرة العربية لم أحتج أن أتعلم لغتهم) عند حديثه عن مملكة وداي، وادي شيوع اللغة

العربية في تشاد إلى أن تستخدمها الممالك الإسلامية التشادية وتسير بها شؤونها الإدارية والتعليمية.

وفي المبحث الثاني عدد البحث العوامل الموضوعية التي أدت إلى انتشار اللغة العربية وسيادتها في منطقة حوض بحيرة تشاد، وهي:

أولاً: العامل الجغرافي: حيث تقع تشاد في محيط عربي بمجاورة كل من ليبيا والسودان وقربها الجغرافي من كل من مصر والجزائر؛ مما ساهم في تحرك وهجرة القبائل العربية منها إلى تشاد، وجعل لتشاد علاقات وأواصر مع المنطقة العربية.

ثانياً: توطن القبائل العربية في تشاد بفروعها العدنانية والقطحانية: ساهم في انتشار اللغة العربية فيها، خاصة وأن المهنة الرئيسية لهذه القبائل الرعي الذي ساهم في احتكاكها واختلاطها بعدد كبير من المجموعات العرقية والمناطق.

ثالثاً: العامل الديني: فإن سكان المنطقة اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر، وبما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم الإسلامية، فقد اهتم سكان المنطقة بتعلمها، واختلطت العربية بلغات كثير من قبائل المنطقة ذات الأصول غير العربية، وأصبحوا يتحدثون بها في كثير من الأوقات ويحافظون عليها ويعتزون بها ويقدمونها.

رابعاً: العامل الاجتماعي، اختلطت وتمازجت القبائل العربية مع المجموعات المحلية بالتزاوج والمصاهرة فحدث تداخل وتشابك في القرابات والأواصر والعلاقات، وبالتالي رسوخ اللغة العربية، فكل هذه العوامل التي ساهمت في نشر اللغة العربية في تشاد جعلتها لغة وطنية راسخة الجذور في البلاد.

أما المبحث الثالث: فقد تتبع مسيرة رسمية اللغة العربية في الدساتير التشادية، حيث لوحظ أن اللغة العربية تم تجاهلها وتهميشها في دساتير ما قبل الاستقلال وبعيده، ثم بدأت الدساتير تشير إلى إعطائها مكانة خاصة في التعليم العام (دستور:

(1960)، وأدرجت اللغة العربية كلغة رسمية للبلاد دستوريا لأول مرة في الميثاق الأساسي للجمهورية لعام 1978م بعد اتفاق الخرطوم لعام 1977م بين الحكومة التشادية والقوات المسلحة الشمالية (FAN)، واحتفظت اللغة العربية بمكانتها الرسمية في الميثاق الانتقالي للجمهورية لعام 1982م، ثم اعتمدت رسمية اللغة العربية في الدساتير والمواثيق التي أقرت باستفتاءات شعبية في المراحل اللاحقة، مساوية في ذلك اللغة الفرنسية، مما يثبت أن اللغة العربية استردت مكانتها في ظل عهد السيادة الوطنية، بل أصبحت إحدى المواد الثابتة في المواثيق والدساتير التشادية الصادرة بعد عام 1978م، وترد في بند استقلالية الدولة التي يتضمن سيادة الدولة وطبيعتها وعلمها ومساحتها وشعارها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بكيان الدولة، ولهذا فإن الدساتير التشادية قد وصلت مرحلة رسمية اللغة العربية في الممالك التشادية برسميتها في عهد السيادة الوطنية فأعادت لها مكانتها التاريخية.

واستعرض المبحث الرابع رسمية اللغة العربية في الواقع العملي ، فعدد بعض الجهود الرسمية الجادة في تحقيق دستورية اللغة العربية في المؤسسات الرسمية للدولة، فمنها النص علي رسميتها في دستور البلاد، واستخدام اللغة العربية في الإذاعة الوطنية والتلفزيون التشادي، وجعلها لغة إجبارية في مؤسسات التعليم الحكومية الفرنسية من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية، وافتتاح الأقسام العربية في الجامعات والمعاهد العليا الحكومية في مختلف التخصصات، والاعتراف بالشهادة الثانوية العربية، وتنظيمها سنويا، ثم الإرادة السياسية للقيادة التشادية على أعلى هرم الدولة، حيث وجه فخامة رئيس الجمهورية رأس الدولة في أكثر من مناسبة رسمية إلى تطبيق الثنائية اللغوية وإعطاء اللغة العربية مكانتها وحقها في الإطار الرسمي، وقد استخدم فخامته بنفسه اللغة العربية في خطابات ومقابلات رسمية كجانب عملي تطبيقي لهذا المبدأ، وكذلك فعل كثير من الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة، كما بدأ صدور المراسيم الرئاسية باللغتين العربية والفرنسية، وكذلك بعض القرارات الوزارية،

كما تم تعريب اللافتات الرئيسية لكثير من الوزارات والإدارات الحكومية، وتعريب أوراقها الرسمية وأختامها، وتبع ذلك تعيين وزراء من مثقفي اللغة العربية، وبعض مديري الإدارات الحكومية والدبلوماسية. ومن هذه الجهود الداعمة للغة العربية دعم ومساندة جامعة الملك فيصل باعتبارها البوتقة التي تكون مثقفي اللغة العربية.

أما في الاتجاه المعاكس المضاد للغة العربية فرصد البحث بعض المحاولات اليائسة لمحاربة اللغة العربية، وتحجيم دورها في مؤسسات الدولة الرسمية، وقد بدأ الفرنسيون ذلك بالتصفيات الجسدية لبعض العلماء والشعراء وقادة الرأي من معلمي اللغة العربية وتابع أدنايهم وأذيالهم ذلك النهج في تجاهل وتهميش اللغة العربية باعتقال العلماء العائدين إلي وطنهم من الجامعات العربية خاصة الأزهر الشريف، ومنع دخول الكتب العربية، وإنشاء الأقسام والكليات العربية لإعادة صياغة مثقفي اللغة العربية لتعريبهم وأضعافهم، ومن ذلك تعيين معلمين غير مقتدرين لتدريس اللغة العربية، ومن أسوأ المحاولات في ذلك الدعوة إلي استخدام العامية كلغة رسمية، والدعوة إلي استخدام اللهجات المحلية، ومحاربة المؤسسات التعليمية العربية، ومعاكسة ومضايقة خريجها في مجال العمل الحكومي والمحاولات الخبيثة لاستخدام الثنائية اللغوية في محاربة اللغة العربية كما ورد في قرار وزارة التربية الوطنية (رقم: 276 لعام 1994) المتعلق بإدخال ثنائية التعليم في النظام التربوي التشادي الذي قسم مؤسسات التعليم الحكومي إلي نوعين فقط، هما: مؤسسات ثنائية اللغة ومؤسسات فرنسية، ولم يضع أي اعتبار لمؤسسات التعليم العربية، ويحول دون تدريس المقررات العلمية باللغة العربية ابتداء من الصف السادس، مما يميئ اللغة العربية ويحجزها عن كثير من التخصصات الحيوية في المجتمع، وهو يناقض دستور البلاد، ومقررات مؤتمر الأحوال العامة للتربية الوطنية بتشاد (1994)، ومع هذا فإن هذه الحملات تعبر عن حقد فردي من أشخاص وجهات، ولا تمثل بحال من الأحوال الدولة التي حددت سياستها العامة وتوجهها الداعم والمساند لرسمية اللغة العربية في تشاد منذ عام 1978م بشكل واضح وحاسم.

الهوامش والحواشي :

- 1- الحسيني: إبراهيم صالح يونس ، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية (كادم - برنو)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2 ، القاهرة 1429 - 2008م ، ص 73 .
 - 2- المرجع الأسبق، ص 73
 - 3- انظر ص 70، ومابعده .
 - 4- المرجع السابق، ص 66
 - 5- جوستاف ناخنتال، رحلة إلى وداي ودارفور ، ترجمه من الألمانية إلى الإنجليزية، لن ج فشر، وهمفري ح فيشر ، تعريب : سيد علي بن محمد جيدان ، المطبعة العسكرية د م، د ت، ص 189.
 - 6- المرجع السابق/: ص 189 ومابعدها.
 - 7- إبراهيم صالح، مرجع سابق ، ص 237-263.
 - 8- محمد بن عمر التونسي، رحلة إلي وداي، تحقيق ودراسة عبد الباقي محمد، شركة مناكب للنشر، الخرطوم: 2001م، ص 103.
 - 9- عبد الرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال (1894-1960)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م ، ص 103.
 - 10- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975م ، ص 7.
- (*):الترجمان : منصب في السلطنة يتولى صاحبه نقل كلام السلطان إلى أفراد الشعب، وكذا أنقل كلامهم إلى السلطان سواء كان الموضوع يتعلق بالقضاء والحكم في المشاكل أو يتعلق بقضاء الحوائج، حتى ولو كان يسمع كل منهما كلام الآخر، إذ من عاداتهم عدم مخاطبة سلاطينهم مباشرة، أما الترجمة بمعناها المعروف فهي مهمة جانبية تحدث عندما يكون الفرد لا يعرف اللغة التي يتحدث بها السلطان أو عندما يكون السلطان لا يعرف اللغة التي يتحدث بها الشخص خاصة القادم من أقاليم الممالكة الغائبة .

- 11- انظر: ابن عمر التونسي ، مرجع سابق ، ص 246
- 12- جوستاف ناختيقال، مرجع سابق ، ص 46
- 13- عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا - الواقع والمستقبل .. منشورات دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة : 1999م، ص 52.
- 14- ينظر في مواد الدساتير الواردة في هذا المبحث وتاريخها في كتاب : Recueil des constitutions et textes a valeur constitutionnelle de la republoique du Tchad (1958-2005) CEFOD.N'DJamena 2010
- 15- الوزير الأول رئيس الحكومة، مذكرة رقم: 729 بتاريخ 14/6/1994م
- 16- الوزير الأول رئيس الحكومة، مذكرة إعلامية رقم 1590، بتاريخ 9/11/1994م
- 17- رئاسة جمهورية تشاد المرسوم الرئاسي رقم : 1577 ر ج / رو / و ت ع/2011م،. صادر بتاريخ 2011/12/21م بانجمينا.
- 18- وزارة التعليم العالي بتشاد، القرار رقم : 95/ر ج/ رو / و ت ع/ 2012م صادر بتاريخ 2012/3/13م بانجمينا.
- 19- محمد صالح أيوب، مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر، ندوة اللغة العربية في تشاد - الواقع والمستقبل - منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس: 2003م. ص 637
- 20- محمد مدني فضل ، جامعة الملك فيصل بتشاد بين الواقع والآمال، ورقة علمية القيت في الملتقى الإفريقي الثاني حول (تجربة المجالس الإسلامية والمؤسسات الخيرية ومؤسسات التعليم العالي وأثرها في تنمية إفريقيا)، نظمتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الخرطوم 14-16/1/2010م.ص11.
- 21- محمد صالح أيوب: دور الجامعات التشادية في استعادة الهوية العربية في تشاد ، بحث حول تجربة التعريب في التعليم العالي في تشاد ، بحث ألقى في المائدة المستديرة للأساتذة العرب - الدورة الثامنة جامعة ناصر الاممية طرابلس : دت . ص-6،5.

- 22 محمد مدني فضل، المرجع السابق، ص 11.
- 23 عبد الرحمن عمر الماحي، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1918-1960)، الجريسي للكمبيوتر والطباعة والتصوير، القاهرة، 1997م. ص 266-268
- 24 المرجع السابق، 220.
- 25 علي محمد قمر، التحديات التي تواجه اللغة العربية في تشاد، ندوة اللغة العربية في تشاد - الواقع والمستقبل، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس 2003م، ص 730
- 26 علي قضاي الدخر، تباين اللغة العربية بين الشارع والدواوين الرسمية، ندوة اللغة العربية في تشاد، الواقع والمستقبل.. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس 2003م. ص 648
- 27 المرجع السابق، نفس الصفحة
- 28 مرجع سابق، ص 729
- 29 وزارة التربية الوطنية بتشاد، القرار الوزاري رقم : 276- و ت و / أع / 1994م صادر بتاريخ 1994/12/13م بإنجمننا .
- 30 انظر المادة (3) من القرار السابق.

المراجع والمصادر :

- إبراهيم صالح بن يونس الحسيني . تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية (كانم - برنو) . ط 2. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . القاهرة 1429هـ - 2008م .
- إبراهيم علي طرخان. إمبراطورية البرنو الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة: 1975م .
- جوستاف ناختال . رحلة إلي وداي ودارفور . ترجمه من الألمانية إلي الإنجليزية : ج فشر وهمفري ح فيشر ، تعريب : سيد علي بن محمد ديدان . المطبعة العسكرية . دم . د ت .
- رئاسة جمهورية تشاد. المرسوم الرئاسي رقم: 1577 رج / رو/ و ت ع/2011م، صادر بتاريخ : 2011/12/21م بانجمينا.
- رئاسة الوزراء بتشاد مذكرة إلي جميع الوزراء رقم:729 صادرة بتاريخ 1994/6/14م بانجمينا.
- رئاسة الوزراء بتشاد. مذكرة إعلامية رقم : 1590 صادرة بتاريخ : 1994/11/9م .بانجمينا.
- عبد الرحمن عمر الماحي. تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894- 1960) الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة : 1982م .
- عبد الرحمن عمر الماحي . الدعوة الإسلامية في إفريقيا - الواقع والمستقبل .. منشورات دائرة الثقافة والأعلام. الشارقة: 1999م.
- عبد الرحمن عمر الماحي. المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1918- 1960) الجريسي للكمبيوتر والطباعة والتصوير . القاهرة : 1997م.
- علي قضاي الدخر. تباين اللغة العربية بين الشارع والدواوين الرسمية. ندوة اللغة العربية في تشاد، الواقع والمستقبل.. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس 2003م.

- علي محمد قمر، التحديات التي تواجه اللغة العربية في تشاد. ندوة اللغة العربية في تشاد - الواقع والمستقبل. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس: 2003م .
- محمد صالح أيوب. مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي المعاصر. ندوة اللغة العربية في تشاد - الواقع والمستقبل - منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس : 2003م .
- محمد صالح أيوب : دور الجامعات التشادية في استعادة الهوية العربية في تشاد . بحث حول تجربة التعريب في التعليم العالي في تشاد .بحث القي في المائدة المستديرة للأساتذة العرب - الدورة الثامنة جامعة ناصر الاممية طرابلس : دت .
- محمد عمر التونسي. رحلة إلى وداي. تحقيق ودراسة: عبد الباقي محمد. شركة مناكب للنشر . الخرطوم: 2001م .
- محمد مدني فضل. جامعة الملك فيصل بتشاد بين الواقع والآمال، ورقة علمية القيت في الملتقى الإفريقي الثاني حول (تجربة المجالس الإسلامية والمؤسسات الخيرية ومؤسسات التعليم العالي وأثرها في تنمية إفريقيا). نظمته جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الخرطوم 2010م .
- وزارة التربية الوطنية بتشاد. القرار رقم: 276- و ت و / أع / 1994م. صادر بتاريخ: 13/12/1994م بانجمينا .
- وزارة التعليم العالي بتشاد القرار رقم: 95/رج/رو / و ت ع/ أع/ 2012م . صادر بتاريخ: 13/3/2012م بانجمينا.
- Recueil des constitutions et textes a valeur constitutionnelle de la republoique du Tchad (1958-2005) CEFOD.N'DJamena 2010